أدب الطفل وثقافته

أ.د. هدى محمد قناوى

أستاذ علم النفس، جامعة قناة السويس

وعميد كلية التربية النوعية ببورسعيد سابقا

أدب الطفل وثقافته

أدب الطفل فن رفيع يمتع الطفل ويخاطب وجدانه ليصل إلى عقله وهو فن يصور مواقف البشر ويرسم صور الحياة على اختلافها مستخدما فى ذلك اللغة.. وعلى هذا فإن الأدب يحمل فى طياته مقومات الثقافة باعتبارها أسلوبا للحياة.

وأستطيع أن أقدم مفهوما لأدب الأطفال فأقول: إن أدب الأطفال هو : (كل خبرة لغوية ـ لها ـ شكل فنى ـ ممتعة وسارة يمر بها الطفل، ويتفاعل معها، فتساعد على إرهاف حسه الفنى، والسمو بذوقه الأدبى، ونموه المتكامل فتسهم بذلك فى بناء شخصيته وتحديد هويته وتعلمه فن الحياة.

وظائف أدب الطفل فى العملية التثقيفية التعليمية:

معروف أن الأدب عامة وليد لتفاعل الإنسان مع بيئته وكل ما فيها، وحصيلة انفعالات البشر وقدراتهم، كما أنه يتضمن بطريق مباشر أو غير مباشر أنماط سلوك البشر وانفعالاتهم المختلفة، واستجاباتهم المتنوعة للحياة، ونقده لهذه الحياة.. لذلك فهو يحمل فكر الإنسان وانفعالاته وسلوكه ويعبر عن التجارب البشرية المتنوعة التى لا تنتهى.. والأدب عامة يخاطب العواطف يستثير قبل أن يستقر فى الوجدان.. وأدب الأطفال لا يختلف عن أدب ا لكبار فى هذا الجانب.

ومن المسلمات التى يعرفها كل من يتعامل مع الأطفال أن عواطف الطفل ووجدانه أسبق من عقله وتفكيره فى الاستثارة والتوحد والتقمص.. ولذلك فإن أدب الأطفال خير معلم للطفل وأداة لإشباع حاجاته وتثقيفه إذا ما راعى خصائص نمو الطفل وحاجاته النفسية المختلفة. وعلى هذا فإن أدب الطفل يحقق للطفل أكبر اشباع معنوى مقابل الإشباع المادى الذى يحتاجه لنمو أعضائه. فالأدب يسعد الطفل ويمتعه من خلال تصويره للعواطف الإنسانية وتعبيره عنها.. كما أنه فن يرسم صور الحياة على اختلافها ويستخدم اللغة بما تحمله من انفعالات ومشاعر وصور بديعة فيصور الحياة الإنسانية على اختلافها للطفل، ويرسم مواقف البشر بإيجابياتها وسلبياتها وخيرها وشرها ويرسم الأخيلة والصور التى تعبر عن العواطف البشرية

فتحدث التأثير الوجدانى الذى يساعد على بناء شخصية الطفل، وتعميق هويته، وتثقيفه وتعليمه فن الحياة.

الطفل عندما يرى أو يسمع الأدب فى صوره وأشكاله المختلفة كقصة أو مسرحية أو شعر أو أغنية ويتفاعل معه ويتجاوب مع معانيه وصوره وأخيلته وانفعالاته يتقمص لا شعوريا الشخصية التى تعجبه أو المعانى التى تستميله ويتعرف ويسلك ويفكر وينفعل متوحدا مع هذه الشخصية وبذلك ينمو وتتعمق هويته ويكتسب ثقافة مجتمعه وبذلك يتحقق ثراؤه الفكرى، وينمو إدراكه وقدراته التى تساعده على التمييز بين النافع والضار والصالح والطالح، ويتعرف على قضايا مجتمعه، وتنمو زحاسيسه ومشاعره.. فالأدب منذ قديم الأزل يعد من أهم الوسائل التى لجأت إليها الأمم لتنمية أبنائها وتثقيفهم فهو فن الخبرات البشرية، كما أنه وسيلة للتعبير وإخراج الطاقات والانفعالات والتعبير عنها، وهو أداة اتصال بالعالم المحيط.. والتعبير والاتصال جانبان مهمان فى تعلم الطفل ونموه وتنفيسه عن مكبوتاته حتى ينعم بالصحة النفسية، وهو وسيلة الطفل للانفتاح على الخبرات المختلفة التى تسهم فى نموه وفهمه لذاته وتحمله للمسئولية ومعرفة حقوقه وواجباته دون أمر أو نهى أو اجبار أو عقاب بل من خلال توحده مع الإيجابيات ورفض السلبيات إذا ما أحسن الأديب عرضها لهذه اللبنات سهلة التشكيل.

عند عرض أدب الطفل فى شكل قصة أو مسرحية يعمد الطفل إلى الموازنة لا شعوريا بين الخير والشر والصالح والطالح ويتفاعل مع الأحداث فيفرح مع البطل ويحزن له ويكتم أنفاسه إذا ما رأه واقعا فى مشكلة ويفكر معه فى حلها ويتقمص شخصيته ويقلدها ويتوحد معه وبذلك ينمو ويتثقف.

ويتميز الطفل بالخيال الحر المنطلق الذى لا يعترف بحدود الزمان أو المكان وهذه إحدى خصائص أدب الأطفال أيضا. المهم أن يكون الخيال ابتكاريا وليس سلبيا اتكاليا.

كما أن الطفل محب للاستطلاع والاستكشاف ويستطيع الأدب أن يخلق عند الطفل روح الفضول العلمى من خلال إشباعه لحب الطفل للاستطلاع، وأن يقدم له

نماذج مختلفة، ومواقف حياتية متنوعة يفسر له فيها بعض الظواهر الحياتية والاجتماعية فيثرى حياة الطفل، ويثقفه ويشبع حاجاته.

ويتميز الطفل بقلة خبراته ومعروف أن كل مجهول مقلق ومخيف.. ويستطيع الأدب أن يشغل حيزا كبيرا فى حياة الطفل وهدوئه النفسى بما يقدمه من إجابات لكيفية التصرف مع ظواهر الحياة المختلفة المجهولة للطفل ومعروف أن الطفل ينمو من خلال التقليد والمحاكاة، وعندما يقلد بعض الشخصيات ويتوحد معها يسلك مثلها ويردد حديثها ويكتسب خبراتها وأسلوبها فى الحياة.

ويمكن عرض أدب الأطفال من خلال وسائطه المختلفة كالمجلات والكتب والتليفزيون والكمبيوتر وما إلى ذلك، ويعد أدب الأطفال من أهم المواد التى تثقف الطفل وتعلمه فن الحياة من خلال أى وسيط.

وبناء على ما سبق أستطيع أن أقول أن أدب الأطفال يمكن أن يعد من أهم المواد التى تساعد على تثقيف الطفل ونموه وتعليمه فن الحياة.